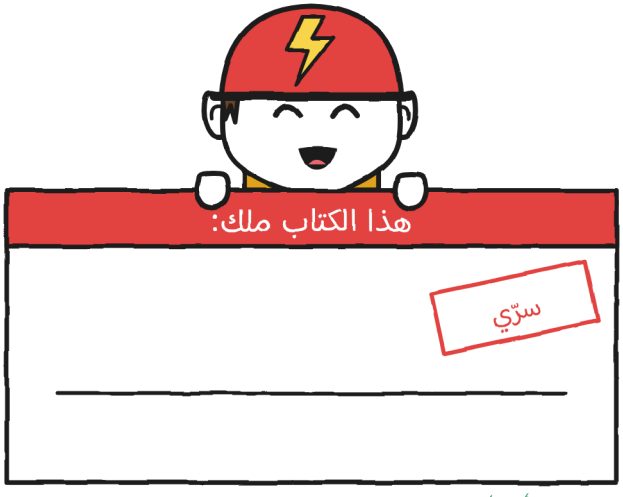


وأنا أقرؤه أوّلًا. — خ.

إذا وجدتَه، فأعِدْه. من فضلك.

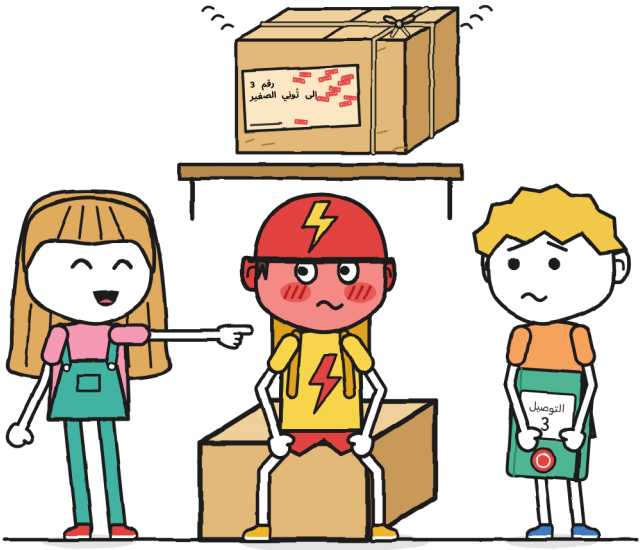
في القصّة فقط

هذا الختم يشير إلى ما يحدث في القصّة فقط. الطيور الحقيقيّة لا تعود طائرة. وعند ركوب دراجة حقيقيّة، اتّبع ما في الصفحة الأخيرة. — خ.

توصيلات مستحيلة · 3

مُرْتَجَع، رَجَاء

LinguAula



(دفتر غوفي)

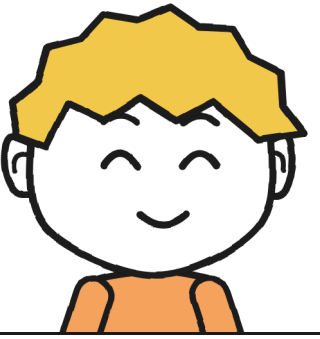
المقاس XL · رواية مصوّرة · 13+

توصيلات مستحيلة · 3
مُرْتَجَع، رَجَاء
الكتاب الثالث في السلسلة. الكتابان السابقان: «هذا الطَّرْد يَعَض» و«لا يُفْتَح قبل الرعد».
النص والرسوم: LinguAula
النسخة العربية: LinguAula
المقاس XL · رواية مصوّرة · +13
الطبعة الأولى: 2026
© 2026 LinguAula · info@linguaula.com
يمكن تصويره بحرّية، للصف وللبيت.
الخطوط: Noto Sans Arabic، Baloo Bhaijaan 2، Aref Ruqaa، Andika،
Patrick Hand، Caveat، Courier Prime (رخصة SIL OFL).

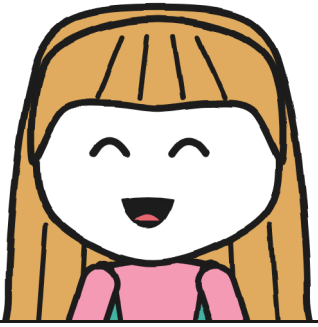
تدرّب على كل فصل في موقع
linguaula.com

لم يتأذ أي موصّل طرود أثناء كتابة هذا الكتاب. أمّا المحمّر فتأذّى. — خ.

مَن هو مَن



غوني. موصِّل طرود أيّام السبت. يرسم أشياء لم يطلبها منه أحد. هذا الدفتر دفتره.



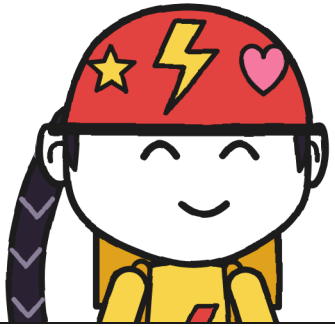
خوليتا. تكتب بالأخضر وتوقّع بحرف خ. تعرف دائمًا كيف تساعد. وهذه هي المشكلة.



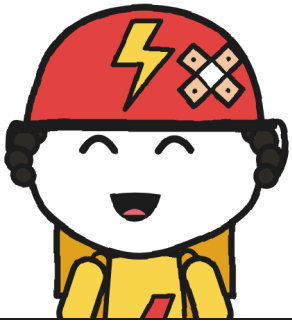
تونيو. موصِّل طرود في «البرق»، على درّاجة. خلال عشر دقائق أو مجّانًا. يحمر وجهه جزعًا جزعًا.



مارا. صاحبة «توصيلات مستحيلة». تضع قبّعة ساحرة. تعرف أكثر ممّا تقول.



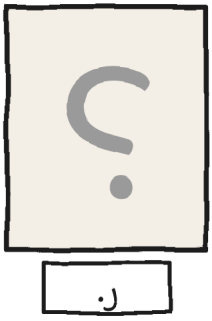
زوي. من «البرق». الأسرع. هي التي تطلق الألقاب.



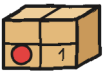
برونو. من «البرق». انثقبت عجلته مرّة واحدة. قبل سنتين.



الطرد رقم 3. يُصدر صوتًا حين يحرّكونه. على بطاقته اسم واحد فقط.



ر. — مصدر الطرود التي لا يستطيع أحد تسليمها. لا أحد ينطق اسم ر.



الفصل 1

تِلِن

تِلِن.

كان صوتًا صغيرًا جدًّا، من تلك الأصوات التي لا تُسمع إلّا حين يسكت كل شيء آخر: ملعقة صغيرة تلمس فنجانًا، أو جرس درّاجة لعبة. جاء من رف المُرْتَجَعات، وتجمّدنا نحن الأربعة الباقين في متجر مارا في أماكننا إلى حد أنّنا كنّا سنسمع شرارة تسقط من الختم.

كانت العاصفة قد ذهبت منذ وقت. وكانت خوليتا ما زالت واقفة على كرسيّي الأزرق، والقلم العريض الأخضر مرفوع في يدها، والرقم 18 مكتوبًا للتو بجانب الرقم 19 المشطوب. ومارا يدها معلّقة في منتصف الطريق إلى الستارة المعدنيّة. أمّا أنا، الذي لا أعرف ماذا أفعل بيدي حتّى في أحسن الأوقات، فلم أفعل بهما شيئًا.

كان الطرد رقم 3. وتونيو، الذي يوصّل لحساب «البرق» خلال عشر دقائق أو مجّانًا، صار بلون خوذته.

كان الدفتر جديدًا. الدفتر 2 انتهى عندي في عاصفة واحدة؛ وهذا أخضر، وفي إحدى زواياه ختم المتجر، وكنت سأبدأ به أنا، باحتفال: عنوان في الصفحة الأولى وكلمة جديدة.

دفتر التوصيل 3 · لِغوني. سرّي.

«سرّي» معناه أنّني أقرؤه أنا أوّلًا. ولا أخبر أحدًا. — خ.

كتبت العنوان وأنا مخرج لساني، وذهبت أبحث عن ممحاة، تحسّبًا لأن يكون قد خرج مائلًا. وحين عدت كانت خوليتا قد بدأت به.

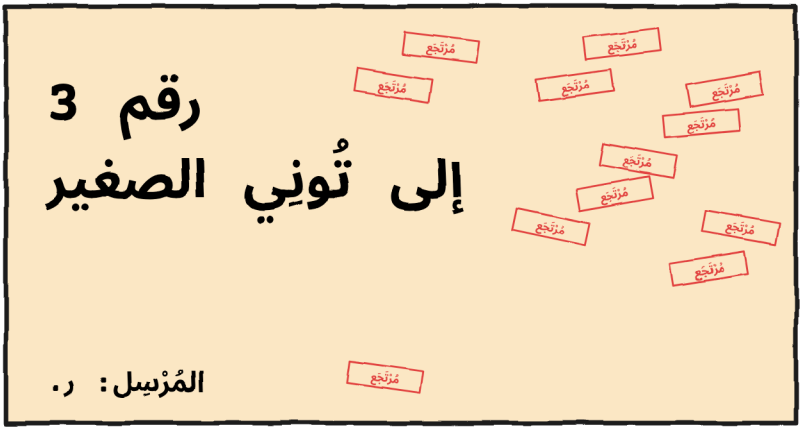
—بدأت به قبلك لأساعدك —قالت—. لا شكر على واجب.

أنا لم أطلب منها مساعدة. ومع خوليتا، لا فرق.

أمّا الباقي، تحسّبًا لأن يقرأه يومًا أحد غيرها: يُسمّى المتجر «توصيلات مستحيلة» وهو لمارا، وهي ساحرة تضع قبّعة بنفسجيّة ولديها ختم يطلق، حين يُطبع، شرارات تفوح منها رائحة شمعة مطفأة. وعلى الرف الأيسر تحفظ المُرْتَجَعات: طرودًا لم ينجح أحد في تسليمها. ولها قاعدة واحدة: إذا لم يوقّع مَن يستلم الطرد على البطاقة بحبر لا يُمحى، عاد الطرد عند الفجر طائرًا إلى رفّه، دقيقًا في موعده مثل قط عند موعد العشاء. كان عددها عشرين، وكلّها يرسلها الشخص نفسه: ر. وفي الدفتر الأزرق ستّة أدلّة تخص ر. وصّلنا أنا وخوليتا طردين: بيضة تنّين وبذورًا لها أرجل كانت تركض، وعلى الجدار مكتوب، بخطّها وبالأخضر: المتبقّي 18.

خوليتا هي صاحبة الملاحظات الخضراء. وأنا غوني، الجديد في الحي: ما زال معظم ما أملكه في صناديق. وتونيو هو موصِّل «البرق»، صاحب الحقيبة الصفراء، الذي يقضي عقوبته معنا أيّام السبت والذي صار له، منذ العاصفة، مكان خاص في المتجر: صندوق توصيل مقلوب، بجانب الكراسي. وضعته له مارا من دون تفسير. «حاليًّا» قالت. ولم يجرؤ أحد على أن يسأل إلى متى يدوم «حاليًّا».

كان الطرد رقم 3 على الرف الأعلى، بجوار الفراغين اللذين تركتهما البيضة والبذور، وبطاقته إلى الأمام. اقتربت لأقرأها، واقفًا ومن دون أن ألمس.



ثلاثة أسطر مطبوعة بالآلة: رقم 3. إلى تُونِي الصغير. وفي الأسفل تمامًا: المُرْسِل: ر. وبين الاسم والسطر الأخير بقي حقل كامل من الورق الأبيض. وحول ذلك اثنا عشر ختمًا بكلمة «مُرْتَجَع». عددتُها.

نزلت خوليتا من الكرسي بقفزة ووقفت بجانبي. وقرأت بصوت عال:

—إلى تُو...

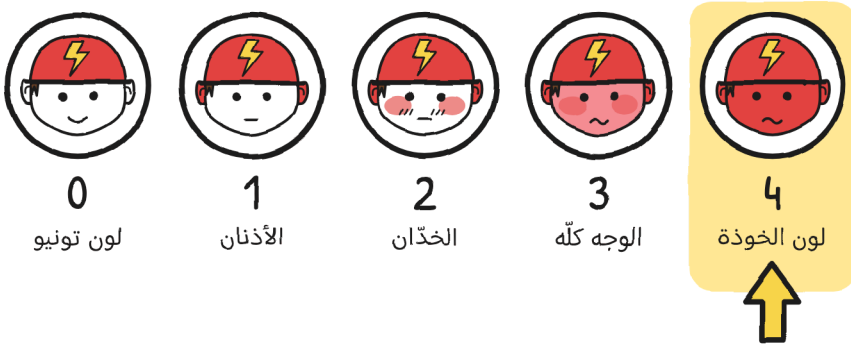
وأغلقت فمها.

خوليتا لا تسكت أبدًا في منتصف كلمة. نظرت إلى تونيو وفهمت السبب.

قرأتُها نصف قراءة. والنصف الآخر ابتلعتُه. — خ.

هناك أناس يحمرّون فجأة. أمّا تونيو فلا: تونيو يحمر جزءًا جزءًا. بدأ بأذنيه. ثم الخدّين. ثم امتلأ وجهه كلّه، حتّى حزام الخوذة، وبقيت درجة أخيرة، هي الأسوأ، حين لا يعود يُميَّز الوجه من الخوذة. ومنذ ما جرى مع مقياس الارتجاف لرقم 2 لم أعد أستطيع أن أنظر إلى أي شيء يتغيّر من دون أن أضع له مقياسًا، فدوّنتُه.

مقياس احمرار تونيو



مدّت خوليتا ذراعها نحو الطرد لتقرأ ما بقي.

—ذلك الطرد يستطيع الانتظار —قال تونيو، بسرعة كبيرة—. ينتظر منذ سنين، أليس كذلك؟ إذن يوم آخر. أو عشرة. «البرق» ليس مستعجلًا.

كانت أوّل مرّة أسمع «البرق» يقول هذا.

—الليلة لا يُفتح شيء —قالت مارا—. والرف لا يُلمَس من دون إذن.

بقيت يد خوليتا معلّقة في الهواء، على بُعد إصبع من البطاقة. لم يلمس أحد شيئًا. وعندئذ رن مرّة أخرى.

تِلِن.

—إنّه الباب! —قالت خوليتا، بصوت لم أعرفه فيها: عال جدًّا ومبكّر جدًّا.

كان الباب مغلقًا منذ ذهبت فيرا.

حين لا أفهم شيئًا، أعد قائمة. المشتبه بهم في التِّلِن:

1. الباب. (اقتراح خوليتا. مغلق، لا هواء، ولا أحد يدفعه.)
2. درّاجة تونيو، على الرصيف، وجرسها جرس «البرق». (يُصدر رييييينغ، لا تِلِن. لكنّه جرس.)
3. الضفدعة المطّاطيّة. (برّأتها خوليتا فورًا. تقول إنّها تعرفها.)
4. الطرد رقم 3.

وضعت الطرد رقم 3 الأخير، من باب الأدب.



خرجت إلى الرصيف لأتأكّد. وأخذت الضفدعة معي في طريقي، لأن المشتبه به لا يُستجوب عن بُعد.

لم يكن المطر يهطل. كانت رائحة الأسفلت المبتل تملأ الشارع، وفي كل بركة مصباح شارع. فتحت الباب وأغلقته: نيييييك. ضغطت جرس درّاجة تونيو: رييييينغ! وضغطت الضفدعة: كويك.

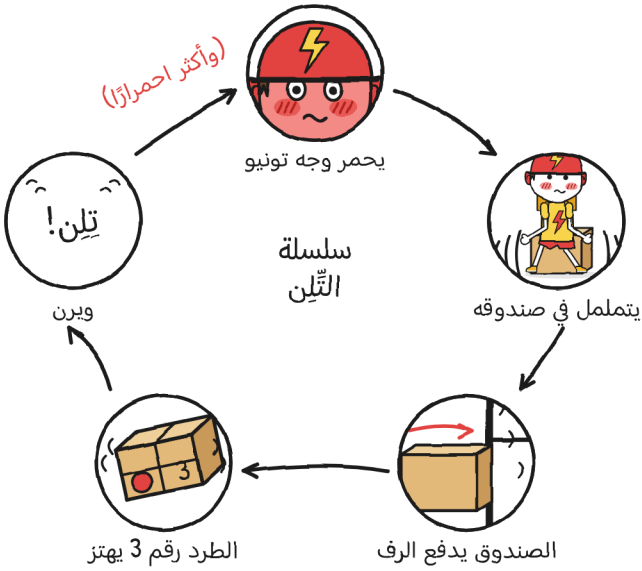
وراء الزجاج كانت خوليتا تقول لي لا بإصبعها. مع كل صوت الشيء نفسه، من جانب إلى جانب، مثل ماسحة الزجاج الأمامي في سيّارة. لم يكن أي منها هو.

عدت إلى الداخل وتركت الضفدعة على المنضدة. وتونيو، الذي رآني أنظر إليه، تململ في صندوقه.

تِلِن.

انحنيت. كان صندوق تونيو مسنودًا إلى رِجل الرف.

رسمت ذلك هناك، على ركبتيّ، فخرجت دائرة، لأنّني مهما أدرتُها لم أجد أين تبدأ.



لم يكن سحرًا. كان تونيو. في داخل الطرد رقم 3 شيء يُصدر صوتًا حين يحرّكونه.

مثالي – خ.

تتبّع تونيو نظري حتّى رِجل الرفّ، ونظر إلى صندوقه، وقرّر أن يبقى ساكنًا.

دام ذلك بقدر ما يدوم شريط مطّاطي مشدود.

ساكن. ثم أكثر سكونًا: ساكن إلى حد أنّه كان يُسمع وهو يفكّر «ساكن»، وقطرة تنزل على صدغه. وكانت خوليتا قد مضت دقيقة طويلة من دون كلام، وهذا بالنسبة إليها مثل حبس النفس تحت الماء، وعاجلًا أو آجلًا تطفو على السطح بما هو أقرب إلى فمها.

—مَن هو تُونِي الصغير؟

قفز تونيو. دفع الصندوق رِجل الرفّ، فاهتز الرفّ، وقال الطرد رقم 3: تِلِن! بقوّة لا يستحقّها أي تِلِن. ونظرت مارا إلى السقف، كمن يعد حتّى ثلاثة.

—كان مجرّد سؤال —قالت خوليتا—. الأسئلة لا تدفع الرفوف.

أمّا هذا السؤال فنعم.



—كان أنا —قال تونيو وهو ينظر إلى حذائه—. وأنا صغير.

قالها بصوت خافت جدًّا حتّى إن الضفدعة، التي كانت على المنضدة أقرب إليه منّي، سمعتها أفضل منّي.

فتحت خوليتا فمها. رأيت أسئلتها تقف في طابور، مثل الطابور في المخبز صباح يوم الأحد، والأولى منها ممسكة بالنقود في يدها. ثم نظرت إلى تونيو، الذي كان لا يزال ينظر إلى حذائه، وأغلقته.

—لن أسأل أكثر —قالت.

كان الأمر صعبًا عليها. وظهر ذلك في قدمها: تَك، تَك، تَك على أرض المتجر.

أسئلة لم أطرحها: تسعة. وقد سجّلتُها. — خ.

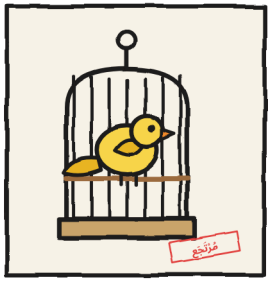
—ولماذا لم تأخذيه إليه قطّ؟ —قلت لمارا.

—اثنتي عشرة مرّة أخذتُه. —لم يكن أحد بحاجة إلى عد الأختام—. انظر إلى البطاقة: لا شارع، ولا رقم بيت، ولا اسم عائلة. جرّبت مع كل «تُونِي صغير» وجدتُه.

كانت تعدّهم من الذاكرة، على أصابعها، وكنت أرسمهم كما أسمعهم. كناري، كان اسمه تُونِي الصغير فعلًا وقد داس على البطاقة: لم يُحتسب. السيّد أنطونيو، 71 سنة، الذي وضع نظّارته وقرأ الورقة مرّتين وقال «ليتني!»، وهو

ينظر إليها كما يُنظر إلى واجهة محل. وقارب من القناة مرسوم اسمه على جانبه، ولم يوقّع هو أيضًا، لأنّه ليس له يدان.

تُوني الصغير عند مارا



1. كناري.
(داس على البطاقة. لا يُحتسب.)



2. السيّد أنطونيو، 71 سنة.
(«ليتني!».)



3. قارب من القناة.
(ليس له يدان.)

—وتونيو؟ —سألت خوليتا.

—آخر مرّة حاولت فيها لم أكن أعرفه بعد —قالت مارا، ونظرت إليه—. ولم يخبرني أحد بما كانوا يسمّونه وهو صغير.

أخرجت مارا من تحت المنضدة قماشة بنفسجيّة وغطّت بها الطرد رقم 3، كما يغطّي المرء قفص ببّغاء لينام. ثم طلبت من تونيو أن ينهض لحظة وأبعدت صندوقه شِبْرين عن الرف.

—هكذا. الآن يمكنك أن تتحرّك كما تشاء.

كان بإمكان تونيو أن يذهب. كانت درّاجته عند الباب: في عشر دقائق كان سيصل إلى الطرف الآخر من الحي. جلس من جديد.

لا أعرف لماذا. أدوّن ذلك على أي حال.

ولأن صندوقه بلا مسند ظهر، رسمت له واحدًا: عاليًا، منحنيًا قليلًا، مع وسادة صغيرة، بالقلم الرصاص وبخط منقّط، وتحته، بخط صغير: «مسند ظهر (فكرتي)».

لم يطلب منك أحد مستندًا للظهر. — خ.



عند الإغلاق بقي تونيو الأخير، يشد حزام خوذته ببطء يُعد في «البرق» مخالفة جسيمة. وكانت مارا تطفئ الأضواء واحدًا واحدًا؛ والقماشة البنفسجيّة ما زالت على الطرد، على الرف الأعلى.

—مارا. غدًا آتي لنتحدّث في هذا الأمر. لكن على انفراد.

—هذان الاثنان من المتجر —قالت مارا، من دون أن تلتفت.

نظر إلينا تونيو. إلى خوليتا أوّلًا؛ ثم إلي. اعتدلت على الكرسي.

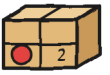
—هذان، لا بأس —قال—. لكن لا أحد من «البرق».

خرج وابتعد بين البرك، يقود الدرّاجة بيده.

صار للتِّلِن صاحب. بقي أن نعرف هل يريده صاحبه.

أنا أعرف كيف أساعده. — خ.

هذا ما يقلقني.



الفصل 2

لم أقل نعم

أيّام الأحد لا يفتح المتجر. وفي ذلك الأحد تركت مارا الستارة المعدنيّة نصف مرفوعة، بالارتفاع الذي يكفي تمامًا للمرور منحنيًا، وعلّقت عليها لافتة مكتوبة بخط اليد:

مُغْلَق (إلّا لك).

وصل تونيو في الحادية عشرة. قبل أن يدخل نظر إلى جانب الشارع ثم إلى الجانب الآخر، كما يفعل مَن يريد عبور الطريق. لم يكن أحد من «البرق» قادمًا. انحنى تحت الستارة وحقيبته ملتصقة بصدره كي لا تحتكّ، وابتلعه المتجر من دون أي صوت.

وصلنا نحن في العاشرة والنصف. تحسّبًا. — خ.

كنت قد قرأت اللافتة مرّتين. لم يكن فيها في أي مكان «وخوليتا»، ولا «وغوني». لكن مارا فتحت لنا من دون أن تقول شيئًا، وحاجبها الأيسر مرفوع، وتركتنا ندخل.

جلسنا على الكراسي بوجه مَن لا ينتظر شيئًا. وهذا الوجه يخرج منّي أسوأ ممّا يخرج من أي أحد.

وضعت مارا الطرد رقم 3 على المنضدة ونزعت عنه القماشة.

—الطرد رقم ثلاثة. إلى تُونِي الصغير. هل هذا أنت؟

—كنت.

—يكفيني. هل تريده؟

نظر تونيو إلى الصندوق. ولم يقل الصندوق شيئًا.

—لم أقل نعم.

—ولم تقل لا أيضًا.

—قلت إنّني لم أقل نعم.

أنا قلت نعم مرّات كثيرة كي يتركوني أبقى. أمّا تونيو فبقي هناك من دون أن يقولها. تشبّثت بحافّة الكرسي.

—ثلاث جمل —همست خوليتا—. ولا واحدة منها نعم. عددتُها.

لم تُلح مارا.

أمسك تونيو الصندوق كما يُمسَك قِدر ساخن جدًّا: بيديه الاثنتين ومع رغبة في تركه. وزنه. أداره. قرّبه من أذنه وحرّكه قليلًا.

تِلِن.

تركه بسرعة وبقي ينظر إلى يديه.

—وماذا لو أخذه إلى البيت؟ —قالت خوليتا—. إذا نام الطرد في بيت مَن يستلمه، فقد سُلِّم. هذا منطقي.

—ختم العودة لا يعمل بالمنطق —قالت مارا—. يعمل بالحبر.

—الختم وأنا لا نفكّر بالطريقة نفسها —تمتمت خوليتا، وهذا أقرب ما سمعتُه منها إلى الاستسلام.

وكي يتّضح الأمر، رسمت جدولًا. عنوانه: هل يُعَد تسليمًا؟

- النظر إليه: لا.
- الإمساك به: لا.
- أخذه إلى البيت: لا.
- التوقيع على البطاقة بحبر لا يُمحى: نعم.

—هذا التوصيل لكما —قالت لنا مارا، لخوليتا ولي—، مثل توصيل الرعد. بثلاثة شروط.

عدّتها على أصابعها.

1. لا تفتحا الصندوق. وتبقى البطاقة ملصوقة.
2. لا يخرج الطرد رقم 3 من المتجر إلّا حين يطلبه تونيو.
3. يوقّع مَن يستلمه، إن أراد. وإذا لم يوقّع، عاد الطرد عند الفجر، ولم يحدث هنا شيء.

رفعت خوليتا يدها، كما في الصف.

—وماذا لو لم يُرد أبدًا؟

—إذن أبدًا.

«أبدًا» ليست مهلة تسليم. — خ.

ظل تونيو صامتًا وقتًا طويلًا. حسبت خوليتا الوقت بالساعة: أربع دقائق. بالنسبة إلى «البرق»، تكاد تكون نصف توصيلة. وفي تلك الدقائق الأربع نظر إلى الطرد، ونظر إلى الباب، ونظر إلى يديه. أمّا ما لم ينظر إليه فهو نحن، وكنت ممتنًّا لذلك.

—سآخذه —قال أخيرًا—. مغلقًا. لأفكّر. حاليًّا.

—هل أنت من يطلبه؟ —سألت مارا.

—أنا أطلبه.

أعددت سجل خروج، حتّى لا يستطيع أحد أن يقول غير ذلك:

- الصندوق: مغلق. نعم.
- البطاقة: ملصوقة. نعم.
- طلبه: تونيو. نعم.
- التوقيع: ليس بعد.

في الخارج كانت تلك الشمس التي تأتي بعد العاصفة صباح الأحد وتترك كل شيء كأنّه غُسل للتو. وضع تونيو الطرد رقم 3 في سلّة درّاجته، وحين تركه رن: تِلِن.

بقي ينظر إلى المقود، حيث يضع جرس «البرق»، الرمادي المستدير.

—ماذا؟ —سألت خوليتا.

—لا شيء.

وذهب مشيًا، يقود الدرّاجة بيده. تونيو نادرًا ما يذهب مشيًا.

ذلك «لا شيء» كان «شيئًا». يجب أن نساعده. — خ.

من الباب رأيت درّاجتين من «البرق» واقفتين عند الزاوية، بحقيبتيهما الصفراوين: فتاة لها ضفيرة تصل إلى خصرها، وبجانبها واحد ضخم جدًّا.

—تونيو! ماذا تحمل في السلّة؟ —صاحت صاحبة الضفيرة.

—توصيلة.

—لمن؟

—لزبون.

لم يكذب. لكنّه قبل أن يجيب أدار الصندوق في السلّة، ببطء، لتواجهه البطاقة.



فهمت ما قصده بعبارة «لا أحد من «البرق»».

في تلك الليلة تركت ستارة غرفتي مرفوعة. أسكن قبالة المتجر: وإذا عاد الطرد رقم 3 فسأراه أنا. وضعت كرسيّين أمام النافذة، واحدًا لي وآخر، صغيرًا جدًّا، للمنبّه. أمّا النافذة الصغيرة فوق باب المتجر، التي تتركها مارا مفتوحة لهذا الغرض (ظننتُها في اليوم الأوّل صندوق بريد)، فكانت مستطيلًا أسود ساكنًا.

—غوني؟ —قالت أمّي من الممر—. ماذا تفعل مستيقظًا؟

—أراقب طردًا.

—آه. حسنًا. لكن راقبه وأنت ترتدي البيجامة.

في العشرين دقيقة الأولى نظرت إلى النافذة الصغيرة؛ وفي التي بعدها إلى المنبّه؛ وفي بقيّة الليل إلى الدفتر، لأنّني حين أنتظر أحتاج إلى شيء أفعله بيدي. فعلى عتبة النافذة، وعلى ضوء مصباح الشارع، حسّنت مقعد تونيو.

النسخة 1 هي مسند ظهر يوم السبت؛ والنسخة 2 فيها مسندان للذراعين وفتحة مستديرة للكوب. ورسمت الكوب أيضًا، بمنديله الورقي.

أرادت خوليتا أن تراقب هي أيضًا، لكن نافذتها تطل على فناء، ومن فناء لا يُراقَب إلّا الغسيل المنشور.

عند الفجر سُمع قبل أن يُرى.

تِلِنْ، تِلِنْ، تِلِن.

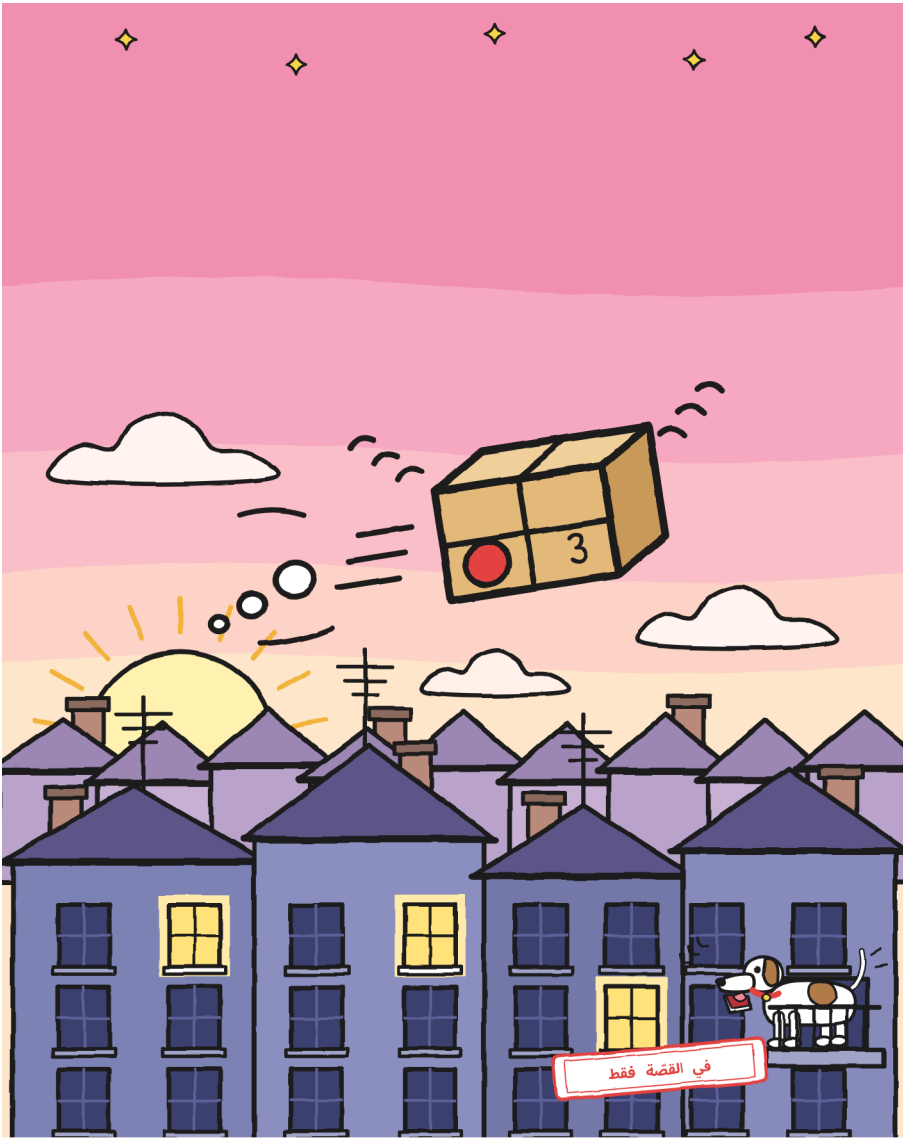
جاء فوق الأسطح، من دون عجلة، يرن مثل عربة المثلّجات حين لا تكون قد اختارت زاويتها بعد. أُضيئت نافذة، ثم أخرى، ثم أخرى: ثلاث، كأن أحدًا ينادي الأسماء. ونبح كلب، كلب الرقم 4، الذي ينبح على كل ما يطير، طردًا كان أو حمامة. وعندئذ رأيتُه: كتلة مربّعة صغيرة والسماء الورديّة خلفها، عبرت شارعي بمحاذاة نافذتي، ودخلت من النافذة الصغيرة فوق الباب، وسمعتُها بعد ذلك تحط على رفّها بتِلِن أخير، أقصر، كما يضع أحدهم المفاتيح على الطاولة.

—هل كان هذا؟ —سألت أمّي من الممرّ، بصوت مَن لم ينم تمامًا.

—كان هذا.

—إذن الآن، إلى الفطور.

بقيت لحظة أخرى عند النافذة. وحين ناديتني أمّي مرّة ثانية، ذهبت إلى الفطور.



بعد المدرسة ذهبنا إلى المتجر. كان الطرد رقم 3 على رفّه، وعليه ختم إضافيّ، أحمر وحبره ما زال طازجًا، لم يختمه أحد: ثلاثة عشر.

قلت إنّه يحزنني أن أراه على الرف مرّة أخرى.

—ليس عقابًا —قالت مارا—. إنّها القاعدة. لم يوقّع أحد: فيعود.

ثلاثة عشر ضمنًا. بهذا المعدّل لن يظهر الصندوق. — خ.

جاء تونيو في الخامسة وعشرين دقيقة، بعد جولة التوصيل. لم يسأل هل عاد: كان قد سمعه يمر فوق بيته. جلس في صندوقه، الذي كان ما زال على بُعد شِبْرين من الرفّ، ونظر إلى الطرد من دون أن ينظر إليه، بتلك الطريقة التي يُنظر بها إلى شخص تعرف أنّه ينظر إليك.

هذا لم أره. حكاه لي هو:

ما حكاه لي تونيو



—تركتُه على ممسحة الباب. طوال الليل.

—ولماذا لم تُدخله إلى البيت؟ —سألت خوليتا.

—في البيت يوجد ما يكفي من الناس يناديونني هكذا.

قالها من دون غضب، بالصوت المسطّح الذي يعطي به العناوين. ولم تسأل خوليتا كم يبلغ عدد «ما يكفي». وصدر عن قدمها تَك، مرّة واحدة.

—توقيع واحد يحل كل شيء —قالت خوليتا حين ذهب تونيو—. واحد. يستغرق ثانيتين. قِست ذلك بتوقيعي أنا.

وكان هذا صحيحًا. فعلتها ثلاث مرّات على ورقة سائبة، بحرف خ المعتاد: ثانيتان، ثانيتان، وفي المرّة التي خرج فيها مائلًا، ثانيتان ونصف.

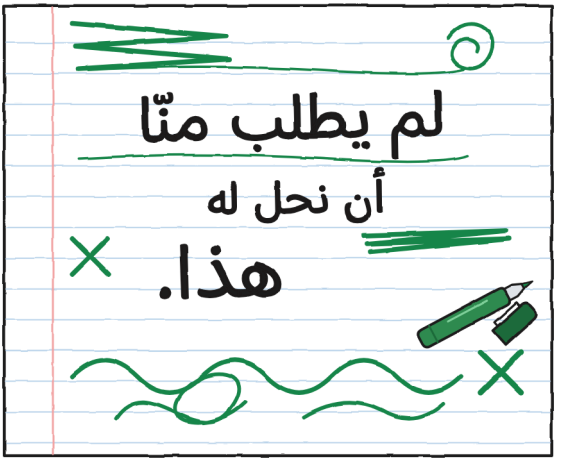
فتحت الدفتر وكتبت بالقلم الجافّ، وأنا أضغط، حتّى لا يستطيع الأخضر أن يغطّيه:

لم يطلب منّا أن نحل له هذا.

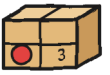
ضغطت بشدّة إلى درجة أن الجملة قُرئت أيضًا على الورقة التالية، بارزة. أخرجت خوليتا قلمها العريض الأخضر. جرّبت الخطوط، والحلزونات، وعلامة اكس، وسحابة من الموجات. الأخضر لا يُمحى، لكنّه لم ينجح في تغطية تلك الجملة: بقيت تحته، كاملة، بحروفها الكبيرة، غائرة في الورق.

قرأته. لست موافقة. حاليًا. — خ.

نظرت إليها.



عندي فكرة أخرى. لا تنظر إلي هكذا. – خ.



الفصل 3

توقيعات

يوم الثلاثاء، عند الخروج من المدرسة، كانت هناك طاولة على الرصيف، أمام المتجر. الطاولات لا تخرج وحدها إلى الشارع، وهذه كانت، فوق ذلك، مكسوّة: مفرش أصفر يصل إلى الأرض، ولافتة بخط خوليتا، وفي الوسط كتلة مغطّاة، مربّعة وساكنة جدًّا، من النوع الذي يبدو كأنّه ينتظر أن يطرح عليه أحد سؤالًا.

كانت اللافتة تقول، بالأخضر: توقيعات الموصّلين. وتحتها: اليوم. وتحت ذلك، بخط أصغر: الأسرع في الحي.

وراء الطاولة كانت خوليتا واقفة، ويداها خلف ظهرها، بوجه جاد كمن يبيع التذاكر. ووراء الواجهة الزجاجيّة كانت مارا تتكلّم في الهاتف. أو بالأحرى كانت تُصغي: تومئ برأسها وهي تنظر إلى السقف، حيث تنظر حين تطول المكالمة.

أشرت إلى الكتلة بذقني.

—هذه منصّة —قالت خوليتا، قبل أن أسأل شيئًا—. ليوقّع المرء براحة أكبر. أنا أجمع التوقيعات.

المنصّة، على حد علمي، تُستعمل لوضع النوتة حين يُعزف على الكمان. وليس للتوقيع. لكنّها قالتها بثقة كبيرة حتّى إنّني شككت عشر ثوان فيما أعرفه عن الكمانات.

—منذ متى تجمعين التوقيعات؟

—منذ أمس.

بالأمس قالت إن عندها فكرة أخرى. وكان للفكرة مفرش.

فوق المنصّة كانت ورقة مسطّرة، وفي أسفلها تمامًا مربّع. أو هكذا بدا: كانت نافذة صغيرة مقصوصة بالمقص. انحنيت. وكان للمفرش مثلها تمامًا، تحتها مباشرة.

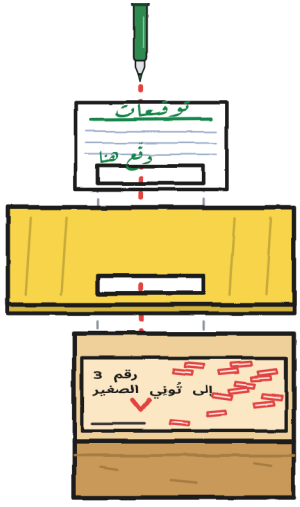
رفعت زاوية. كانت المنصّة هي الطرد رقم 3، ممدّدًا، وبطاقته إلى الأعلى: إلى تُونِي الصغير، وثلاثة عشر ختمًا بكلمة «مُرْتَجَع»، وتحت ثقب المفرش مباشرة قطعة ورق بيضاء، بحجم توقيع بالضبط.

فهمت كل شيء حين رسمتُه، وهكذا أفهم أنا الأشياء.

كيف تعمل

1. الورقة، وفيها نافذتها الصغيرة.

2. المفرش، وفيه ثقبه.



3. بطاقة الطرد رقم 3، في جزئها الفارغ.

4. مَن يوقّع في النافذة الصغيرة... يوقّع على البطاقة.

—بقلمي العريض —همست خوليتا، مبتهجة—. حبر لا يُمحى. غدًا لن يعود، ولن يعرف هو شيئًا حتّى نُريه. مفاجأة!

كان على وجهها ما يكون على وجه مَن سيقدّم هديّة وقد اختارها جيّدًا. حتّى إن أطراف أصابعها كانت خضراء من كثرة القلم العريض.

تذكّرت شروط مارا. والثاني كنت أحفظه عن ظهر قلب.

—تونيو لم يطلب أن يخرج من المتجر —قلت—. الشرط الثاني.

—سيكون ممتنًّا.

—ومارا؟

—كانت على الهاتف. قلت لها إنّها طاولة توقيعات. وهي كذلك.

—والمنصّة؟

—عن هذا لم تسأل.

ذكّرتُها بما جرى مع فلورا والبذرة الثامنة: خوليتا لم تترك فلورا توقّع قبل الأوان.

—الأمر مختلف. تلك كانت تسليمًا ناقصًا. وهذا اختصار للطريق.

—إذن افعليها أنت —قلت—. أنا لا.

جلست على درجة المتجر، معطيًا ظهري للطاولة وذراعاي متشابكتان.

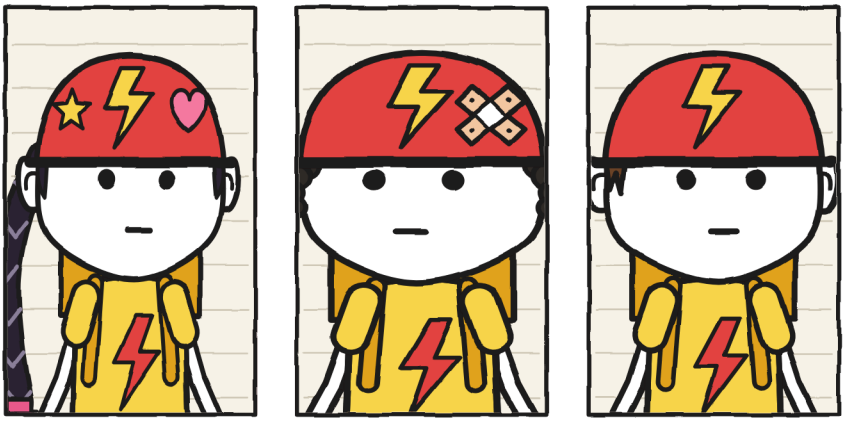
جلس على الدرجة بوقار شديد. ولم يساعد بشيء. — خ.



يمر «البرق» في شارعنا في الخامسة وعشر دقائق. نسمعهم قبل أن نراهم، وهذا ما يحدث مع الأجراس. كانوا ثلاثة، في صف واحد: زوي في المقدّمة، حيث تكون دائمًا؛ وبرونو، الضخم، يدوس الدوّاسات كمن ينقل خزانة؛ وتونيو الأخير، منفصلًا قليلًا، كأن في الصف ثلاث درّاجات ودرّاجته ليست منه.

رسمتُهم بعد ذلك كما وصلوا، واحدًا واحدًا.

سجلّات «البرق»



تونيو:
بلا لقب،
حتّى الآن.

برونو، «بنشر»:
انثقبت عجلته مرّة.
قبل سنتين.

زوي، «صاروخ»:
هي الأسرع.
تضع الألقاب.

زوي، «صاروخ»، هي صاحبة الضفيرة التي تصل إلى الخصر، تلك التي سألت يوم الأحد ماذا يحمل تونيو في السلّة. هي الأسرع وهي التي تضع الألقاب. أمّا برونو فعلى عجلته رقعة، وعلى إطار درّاجته منفاخ هواء، تحسّبًا.

رأت زوي اللافتة وتوقّفت.

—توقيعات؟ توقيعاتنا نحن؟ —قالت، ونزلت عن الدرّاجة.

لم يطلب منهم أحد توقيعًا قط. ولهذا تنجح الخطّة — خ.

وقّعت زوي أوّلًا، ونجمة فوق الواو. وكتب برونو «برونو»، ببطء، ولسانه بين أسنانه وكل حرف مستدير جيّدًا. انتزعت زوي القلم منه وشطبته بخط وكتبت بجانبه «بنشر».

—في «البرق» لا تُشطب الألقاب —شرح لي برونو من دون أن يغضب—. انثقبت عجلتي مرّة.

انثقبت عجلته قبل سنتين. ولقب «بنشر» كبير جدًّا على ثقب واحد.

لم ينزل تونيو عن الدرّاجة. كان ينظر إلى الطاولة كما نظر إلى الطرد رقم 3 يوم الأحد: من بعيد، ويداه كلتاهما على المقود.

—دورك يا تونيو —قالت خوليتا—. هنا في الأسفل، في المربّع. إنّه مكان الشرف.

وأعطته قلمها العريض الأخضر.

لم يطلب أحد من تونيو توقيعًا قط. نزل عن الدرّاجة ووقف منتصبًا.

كنت قد أدرت رأسي. وكنت أرى كل شيء من الدرجة، وفمي مليء بعبارة «ليس هذا شأني».

نهضت. لم أقرّر ذلك حتّى: فعله جسدي، مثل الفواق، من دون أن يستشيرني.

—تونيو، انتظ...

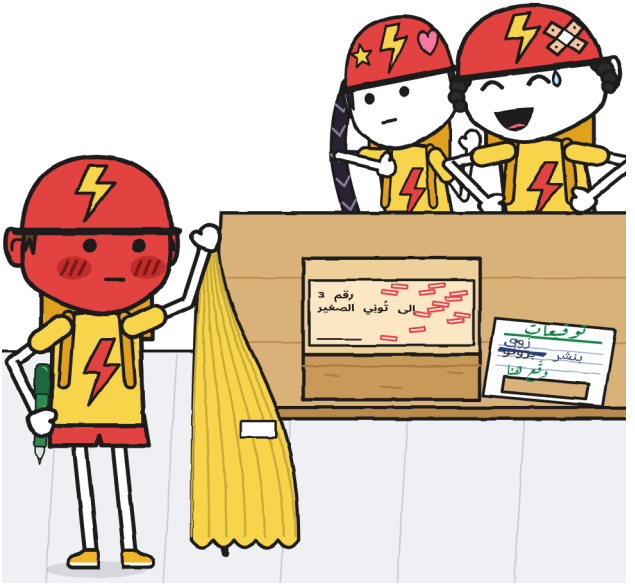
تأخّرت. جذب تونيو المنصّة بسرعة ليوقّع، وتحت المفرش تكلّم شيء قبلي.

تِلِن!

ساد السكون لثانية واحدة: الورقة، ويد تونيو بالقلم العريض على بُعد إصبع من النافذة الصغيرة، والوجوه الأربعة فوق الكتلة. وكنت لم أصل إلى الطاولة بعد.

رفع تونيو المفرش بإصبعين، من زاويته.


توقعات
بنشر
تِلِن!



—«إلى تُو-نِي الص-غِير» —قرأت زوي، ببطء، كمن يقرأ اسم الفائز بجائزة.

—تُونِي الصغير؟ —قال برونو، وضحك.

لم تضحك زوي. كانت زوي تفكّر.

أنزلت خوليتا بصرها نحو النافذة الصغيرة.

لم يصرخ تونيو. وضع الغطاء على القلم العريض، ببطء، حتّى سمع النقرة، وتركه فوق الورقة. من دون توقيع.

—«البرق» لا يوقّع الفخاخ.

ثم أمسك المقود وذهب مشيًا، مع ذلك الصوت الشبيه بصوت الساعة الذي تُصدره الدرّاجة حين لا يدوس أحد دوّاساتها. لم يتبعه أحد. وأنا أيضًا لا.

كان بلون الخوذة، حتّى مؤخّرة العنق. لكنّه لم يكن أحمر الخجل. كان شيئًا آخر.

مقياس الاحمرار ليس فيه رقم لهذا. — خ.

خرجت مارا بالقماشة البنفسجيّة. توقّفت عند الباب، ونظرت من فوق كتفها إلى فراغ الرفّ، ونظرت إلى الطاولة، ونظرت إلى خوليتا. لم تسأل مَن فعل ذلك.

غطّت الطرد رقم 3 وحملته بين ذراعيها.

—هذا الطرد لم يُسلَّم —قالت لزوي ولبرونو—. وما كُتب على البطاقة شأن تونيو.

كان برونو قد كف عن الابتسام. ونظرت زوي مرّة إلى الوراء، إلى الكتلة التي صارت بنفسجيّة. ركبا الدرّاجتين وذهبا من دون أن يقرعا الجرس. على حد ما أذكر، كانت تلك أوّل مرّة.



ساعدت خوليتا في جمع الأغراض: المفرش واللافتة والورقة التي عليها توقيعان وثقب. القلم العريض وضعته هي في مكانه، من دون أن تفتحه. لم أقل لها «قلت لك». ولم أقل لها «لا شيء مهم» أيضًا، لأنّه كان مهمًّا.

طوينا المفرش بيننا، كل منّا من طرف. قرّبنا الزوايا ببطء. وبقي الثقب في الوسط.

—أنت لم تفعل شيئًا —قالت.

قالتها كي تُخرجني من الأمر. كانت هديّة، وطوال طيّة كاملة كدت أحتفظ بها: لم أكن قد قصصت شيئًا، ولا أنزلت شيئًا من أي رف. سوّيت تجعيدة لم تكن موجودة. ضبطت طرفي مع طرفها. عددت بلاطات الرصيف من الدرجة إلى المكان الذي كانت فيه الطاولة.

لم تبلغ اثنتي عشرة. وكانت أمامي طوال العصر.

—حذّرت متأخّرًا —قلتُ، وأنا أنظر إلى المفرش—. كان بإمكاني أن أقول ذلك قبلها. أو أن أتّصل بمارا.

لم تجب خوليتا. أخذت منّي المفرش وطوته مرّة أكثر ممّا يلزم وأعادته إلي.

ثم دخلت وحكت لمارا كل شيء بنفسها، من دون أن تتجاوز شيئًا. وبقيت أنا عند الباب، والمفرش بين ذراعي. ومن هناك كان يُسمع كل شيء: النافذة الصغيرة، والمفرش، والرفّ، والهاتف. أصغت إليها مارا حتّى النهاية.

—أمّا تونيو —قالت مارا حين انتهت— فستحكين له أنت.



يوم الأربعاء مر تونيو في الخامسة وعشر دقائق ولم يتوقّف. مر مسرعًا، ينظر إلى الأمام، بتلك السرعة التي هي طريقة أخرى لعدم الوجود. وفي الخامسة وعشرين دقيقة مر مرّة أخرى: سمعتُه يأتي، وسمعتُه لا يتوقّف، وسمعتُه يذهب. وبالنسبة إلى مَن يوصّل خلال عشر دقائق أو مجّانًا، أن يمر ثلاث مرّات في الشارع نفسه من دون أن يتوقّف فيه هو طريقة غريبة جدًّا في عدم دخول متجر. كانت أشبه كثيرًا بطرق باب.

كنت على الدرجة نفسها.

وفي المرّة الثالثة كانت خوليتا في منتصف الرصيف وفي يدها ورقة. كانت قد تركت تونيو يمر مرّتين.

رفعت الورقة بيديها الاثنتين، بمحاذاة وجهها، كما في لافتات المطارات، وقرأها تونيو من على الدرّاجة، وقدمه على الأرض، من دون أن يلمسها. ثلاث جمل وكلمة: «أخرجت طردك»، «أردت خداعك»، «أريت بطاقتك للآخرين». وتحتها، وحدها وأكبر: «آسفة». أعرفها كما هي لأنّها دوّنتها بعد ذلك في دفتري. لم يكن فيها «لكن»، ولا «من غير قصد»، ولا «كي أساعد». تحقّقت مرّتين، وأنا أفتّش.

وكان التوقيع «—خوليتا». وخوليتا توقّع كل شيء بحرف خ. وهذه المرّة وضعت له الحروف كلّها.

—حسنًا. قرأتُه —قال تونيو.

—هل تسامحني؟

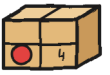
هذا لم يكن في الورقة. شدّت خوليتا أصابعها على حافّة الورقة.

—قلت إنّني قرأتُه.

وضع تونيو قدمه على الدوّاسة وذهب. وهو يدوس الدوّاسات هذه المرّة، من دون عجلة ومن دون أن يكبح. بقيت خوليتا تنظر إلى الشارع، ثم وضعت الورقة في جيب سروالها، من دون أن تطويها.

في ذلك المساء، في المتجر، بقي صندوق تونيو فارغًا.

وقّعت باسمي الكامل. هذا أقل ما يجب. — خ.



الفصل ٦

دراجة صغيرة

يوم الخميس دخل تونيو إلى المتجر من دون أن ينظر إلى جانبي الشارع.

يوم الأحد، قبل أن يدخل، كان قد نظر إلى جانب ثم إلى الآخر، كما يفعل مَن يريد عبور الطريق ولا يثق بالسيّارات. أمّا هذه المرّة فدخل مباشرة، والخوذة على رأسه. لم يعد هناك أحد من «البرق» يختبئ منه: الاثنان اللذان كان لا بد أن يعرفا عرفا يوم الثلاثاء، بالمفرش وكل شيء.

لم نكن ننتظره. فمنذ الثلاثاء كنّا أنا وخوليتا نتكلّم قليلًا وبحذر، كأنّنا اثنان يحملان معًا صينيّة أكواب. وكفّت خوليتا عن وضع الخطط بصوت عالٍ، وهذا كان أكثر ما يلفت: مثل حين تتوقّف الثلّاجة ولا تنتبه إلى أنّها كانت تُصدر صوتًا إلّا حينها.

كان يحمل درّاجة تحت ذراعه.

درّاجته الحقيقيّة بقيت في الخارج، مسنودة إلى الجدار. وهذه كانت حمراء، وصغيرة إلى حد أنّه كان يحملها كما يُحمل رغيف الخبز الطويل، وعلى مقودها زغب من غرفة المخزن.

لم تكن درّاجته. أو بلى: كانت درّاجته القديمة.

مر بجانب صندوقه من دون أن يجلس. كان ما زال حيث تركته مارا يوم السبت: مقلوبًا، بجانب الكراسي، فارغًا. بدأت خوليتا تنهض عن كرسيّها ثم جلست من جديد. فعلت ذلك مرّتين.

—منذ يوم الأحد يدور في رأسي تِلِن —قال تونيو، وهو يتكلّم مع مارا ومع لا أحد غيرها—. أظن أنّني أعرف من أين هو. أريد أن أرى هل أتذكّر جيّدًا. أريد أن أفتحه. لكن ليس هنا. في مكان ليس فيه واجهة.

لم تسأل مارا لماذا. أنزلت الطرد رقم 3 عن رفّه وأخذتنا إلى الغرفة الخلفيّة.

في الغرفة الخلفيّة مصباح بلا غطاء، ورفوف عليها خيوط وورق تغليف، وأكياس توصيل مكدّسة إلى الجدار، وطاولة صغيرة وضعت مارا عليها الصندوق.

—الفتح للنظر ليس توقيعًا —قالت، وقالتها وهي تنظر إلى تونيو، كما تُعطى مظلّة: لا لأن المطر يهطل، بل تحسّبًا—. ومن دون توقيع يعود عند الفجر.

أومأ تونيو.

كانت خوليتا قد بقيت عند الباب، وقدم على كل جانب من الإطار.

—هل يمكنني البقاء؟ —سألت. سألت فعلًا.

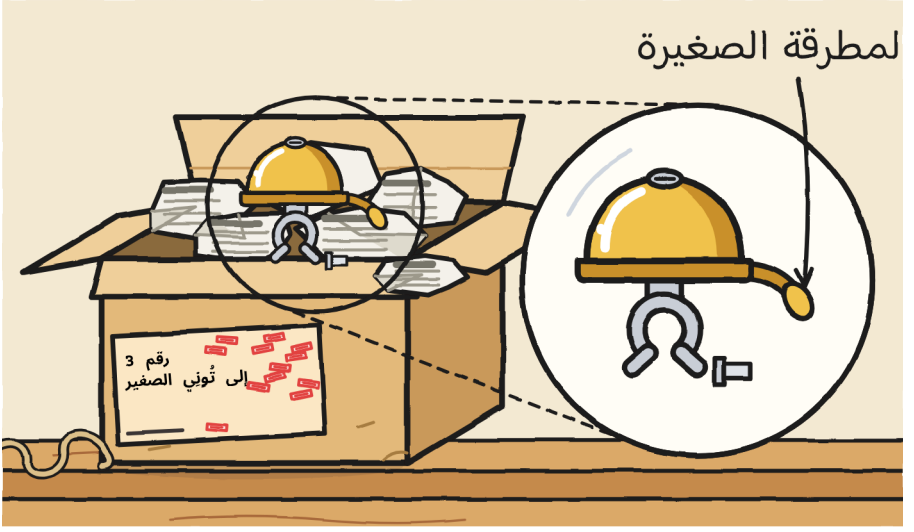
تأخّر تونيو. لا أعرف كم: قياس الوقت من شأن خوليتا، وكانت خوليتا مشغولة.

—إذا لم تلمسي شيئًا.

—لا الصندوق ولا الموضوع.

جلست على كيس، في الركن.

خلع تونيو خوذته وعلّقها على مسمار. وبلا خوذة ظهر شعره البنّي المسطّح وأذنان لم تعودا حمراوين كما كانتا يوم الثلاثاء. ثم حل الخيط، وكان من خيوط التغليف وقد صار بلون الورق. في الداخل كان ورق جرائد، قديم إلى حد أنّه يتمزّق وحده. وأخذ تونيو يفتحه بأطراف أصابعه. وبين الورق...



جرس درّاجة صغير، ذهبيّ، وفيه مطرقة صغيرة مثبّتة بنابض: يكفي هزّة ليرن.

الطرد رقم 1 كان يَعَض. الطرد رقم 2 كان يركض. الطرد رقم 3 يرن فقط.

لا سنّين ولا أقدام. جرس صغير. يعجبني. — خ.

تحت الورق كانت هناك رسالة مطويّة أربع طيّات. فتحها تونيو على الطاولة. كان الخط مضغوطًا، مائلًا، كأنّه كُتب في حافلة تسير. وفي إحدى زواياها بقعة حبر:

«تُونِي الصغير: قلت لك إنّه سيرن من جديد. ها هو يرن. سامحني على التأخير. —ر.»

وفي الأسفل:

«ملاحظة: ربّما كبرت. الجرس الصغير لا.»

قرأها تونيو مرّتين.

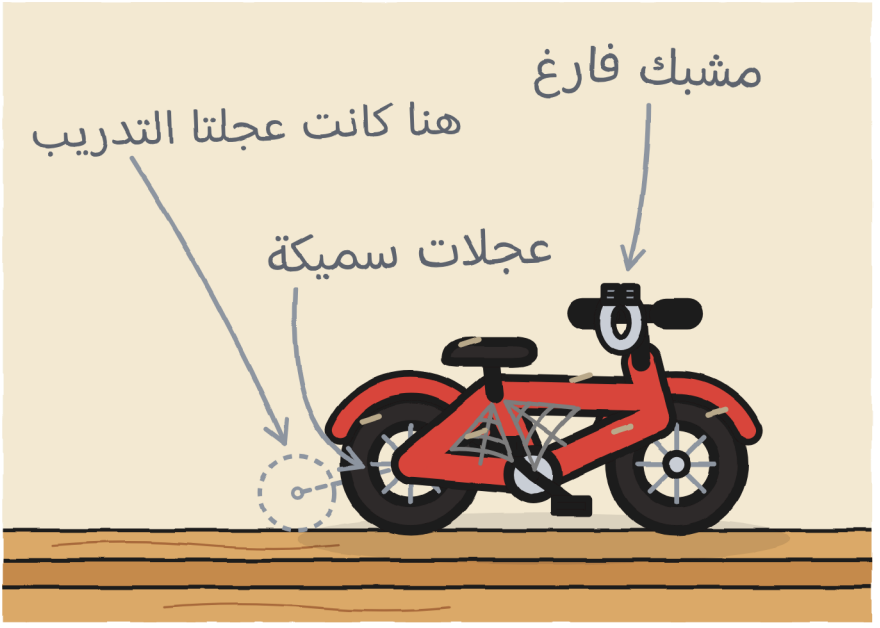
—يا له من خط سيّئ —قال.

ولم يقل شيئًا آخر، وقتًا طويلًا.

وعد ر. سيتحقّق، لكن متأخّرًا. قالت فلورا ذلك. ولم تقل كم من الوقت. — خ.

عندئذ أبعد تونيو الصندوق ووضع الدرّاجة الصغيرة فوق الطاولة.

رسمت الدرّاجة، بأسهم.



عجلات سميكة؛ وعلامات على العجلة الخلفيّة، حيث كانت عجلتا التدريب؛ وعلى المقود المشبك الفارغ، ببرغيّه.

—كان لي —قال تونيو—. كان عليه هذا الجرس الصغير. ذات يوم توقّف عن الرنين: صار يُصدر «كلاك». قيل لي: «أعطني إيّاه يا تُونِي الصغير، فأُصلحه وأعيده إليك».

—مَن؟ —أفلتت الكلمة من خوليتا، وسدّت فمها بيديها الاثنتين.

—الوجه لا أتذكّره. أتذكّر الجرس الصغير. وأنّني انتظرت طويلًا.

بقيت خوليتا ويداها على فمها.

—في البيت ما زالوا يسمّونني تُونِي الصغير —قال تونيو—. أمّا في «البرق» فلا. في «البرق» أنا تونيو: كتبت ذلك بنفسي في سجلّي في اليوم الأوّل.

تخيّلتُه بقلم «البرق»، يكتب «تونيو» في خانة الاسم، من دون أن يقول له أحد شيئًا: الاسم الوحيد في الحي الذي لم يضعه له غيره.

—وما العيب في تُونِي الصغير؟ —سألت. سألت فعلًا، من دون أي نيّة. أمر الأسئلة معي مثل الفواق: تخرج.

—لا شيء. إلى أن تقولها زوي. في «البرق» لا تُشطب الألقاب. انظر إلى برونو.

—ناداني برونو تُونِي الصغير ست مرّات منذ الثلاثاء —أضاف—. عددتُها.

صغُرت خوليتا في ركنها.

لم يكن أحد يعرف كيف يتابع. ثم سألت خوليتا:

—هل ما زال هناك مكان لك؟

لم تستطع أن تمتنع.

أنزلت مارا الدرّاجة من الطاولة إلى الأرض، بالحرص الذي يُنزَل به أحدهم عن كرسي عال. نظر تونيو إلى الدرّاجة. نظر إلى مارا. وجلس.

كان هناك مكان له. تقريبًا. وصلت ركبتاه إلى أذنيه وبرز مرفقاه إلى الجانبين.

أصدرت مارا صوتًا كان سيكون ضحكة عند أي شخص آخر. وضحك تونيو أيضًا. لم أرَه يضحك منذ يوم السبت. يوم الثلاثاء ضحك برونو؛ وهذه المرّة ضحك هو. الصوتان ليسا متشابهين.

مقياس الاحمرار: 0. أسجّله لأنّه يُحسب أيضًا. — خ.

خطرت لي فكرة، وكان علي أن أقرّر هل قولها مساعدة أم دفع. مع تونيو، جالسًا هكذا، منكمشًا فوق درّاجة لم تعد على قياسه، بدا لي الفرق بحجم شعرة. قلتُها كمعلومة، لا كنصيحة.

—في درّاجتك الحاليّة جرس بالفعل —قلت—. جرس «البرق». ولا يلزمك أن تركّب هذا عليها. يمكنك الاحتفاظ به. أو تركه يعود.

—أعرف —قال تونيو.

لكنّه نظر إلي كأن أحدًا لم يقل له ذلك من قبل.

رفعت خوليتا رأسها في ركنها حين سمعتني. لم تقل شيئًا. وبدا عليها أنّها تحتفظ بالأمر.

ظلّت إحدى عشرة دقيقة صامتة، تُصغي، وقلمها العريض مُخبَّأ ويداها في جيبي سروالها. وعرفت أمر الدقائق الإحدى عشرة لأنّها هي نفسها دوّنته بعد ذلك في دفتري.

إحدى عشرة دقيقة. نام لساني. — خ.

—أريد أن أجرّبه وحدي —قال تونيو.

خرجنا نحن الثلاثة. وأغلق تونيو باب الغرفة الخلفيّة.

ذهبت خوليتا إلى الطرف الآخر من المتجر، كي لا تسمع. وأنا، كي لا أسمع، رسمت: صار لمقعد تونيو مظلّة. وسُمع الصوت رغم ذلك. ورتّبت مارا بعض الخيوط المرتّبة أصلًا.

تِلِن.

كان هو التِّلِن نفسه الذي سمعناه يوم السبت. ثم آخر. ثم لا شيء، وقتًا طويلًا. لم يكن أحد منّا نحن الثلاثة ينظر إلى الباب.

حين خرج كان يحمل الجرس الصغير في يد والصندوق تحت ذراعه. وبقيت الدرّاجة الصغيرة في الغرفة الخلفيّة، مسنودة إلى الأكياس، بمشبكها الفارغ.

—سآخذه حتّى الغد. من دون توقيع.

—إذن يعود عند الفجر —قالت مارا.

—فليعد. أريد أن أعرف كيف يكون أن يكون عندي ليلة.

—وإن ترك الجرس الصغير خارج الصندوق؟ —سألت أنا.

—لم أجرّب ذلك قط —قالت مارا—. ولا أنوي تجربته في السابعة صباحًا.

وضع تونيو كل شيء في الداخل: الجرس الصغير والرسالة.



يوم الجمعة، عند الفجر، عاد شارعي يرن: تِلِنْ، تِلِنْ، تِلِنْ، فوق الأسطح، من دون عجلة. أُضيئت النوافذ الثلاث نفسها. نبح الكلب نفسه. العودة رقم 14.

ما حدث قبل ذلك لم أرَه. حكاه لي تونيو بعد ظهر ذلك اليوم، من صندوقه، وهو ينظر إلى الأرض:

—هذه المرّة لم ينم على الممسحة. نام على طاولة سريري. وعند الفجر بدأ يضرب الزجاج، ففتحت له النافذة.

—وكيف هو؟ —سألت—. أن يكون عندك ليلة.

تأخّر تونيو.

—طويلة —قال.

بعد ظهر ذلك اليوم رسمت درّاجتَي تونيو، واحدة بجانب الأخرى. وضعت على الحاليّة الجرس الصغير، الذي يليق بها جدًّا. وتحتهما كتبت «قبل» و«الآن».



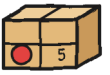
فتح النافذة اطرد. يا للأدب. — خ.

ألصقت لي خوليتا ورقة صغيرة فوقه، على المقود تمامًا، تغطّي جرسي الصغير المرسوم للتو:

لم يركّبه بعد. — خ.

حاولت نزعها بظفري، من زاوية.

كانت على حق. وهذا يزعجني قليلًا.



الفصل 5

على انفراد

بعد ظهر الجمعة كان الطرد رقم 3 على رفّه، وعليه أربعة عشر ختمًا.

وتونيو، في صندوقه، ينظر إليه من بعيد.

كانت خوليتا تُعد شيئًا منذ يومين. كنت أعرف ذلك لأنّها مضى عليها يومان من دون أن تخبرني ما هو.

خشيت الأسوأ. فآخر مرّة أعدّت فيها خوليتا شيئًا في السرّ، كان للسر مفرش.

وهذه المرّة كان أوّل ما تحقّقت منه أنّه لا مفرش. لا طاولة، ولا منصّة، ولا نافذة صغيرة مقصوصة بالمقص: ورقة من دفتر، مسطّرة. وضعتها خوليتا على ركبتي تونيو من دون كلمة وتراجعت حتّى الجدار ويداها خلف ظهرها، خطوتين أكثر ممّا يلزم. عددتُهما.

كانت ورقة فيها خياران.

قرأها تونيو مرّتين؛ وفي الثانية الخيار ب فقط. وأنا، الذي كنت قد أطللت من فوق كتفه بتكتّم منظار غوّاصة، قرأتُها ثلاثًا، أبحث عن الفخ.



رفع تونيو عينيه ونظر إلى مارا.

—إذا وقّعتُ، فمن سيعرف؟

قالها وأذناه عند الرقم 1.

—أنا. ودفتر سجلّي، الذي لا يخرج من هذا الدرج.

فتحت مارا درج المنضدة بالقدر الذي يكفي ليُرى: دفتر سميك، مربوط بشريط مطّاطي. وأغلقت الدرج بوركها.

—و«البرق»؟

—لن أخبر «البرق». السجل ليس لافتة.

فتحت خوليتا فمها ثم أغلقته. وخلف مارا، على الجدار، كانت اللافتة الخضراء ما زالت تقول: المتبقّي 18.

اللافتة فيها أرقام. والأسماء تبقى في الدرج. — خ.

نهض تونيو من صندوقه. وأصدر الصندوق صوتًا أجوف، صوت صندوق يبقى بلا أحد.

—الخيار ب.

لم تقفز خوليتا. رأيتُها لا تقفز.

شدّت قبضتيها حتّى ابيضّت مفاصلها.

—في الغرفة الخلفيّة —تابع تونيو—. وأريدكما أن تكونا موجودَين. أنتما الاثنان.

—أنا أيضًا؟ —سألت خوليتا.

—أنت أكثرنا رغبة في أن أوقّع. أفضّل أن أراك أمامي.

وكان علي أنا أن أُنزل الطرد رقم 3 عن رفّه. صعدت على الكرسي الأزرق وأنزلتُه بيدي الاثنتين، من دون أن أتنفّس، كمن يحمل طبق حساء مملوءًا حتّى الحافّة. ومع ذلك رن: تِلِن صغير، من النوع المهذّب، معناه «بعد إذنكم».



عدنا إلى الغرفة الخلفيّة. خلع تونيو خوذته ووضعها فوق كيس، وحزامها متدل.

وضعت الطرد رقم 3 على الطاولة. ورفع تونيو الغطاء وأخرج الجرس الصغير والرسالة مرّة أخرى. وضعهما تحت المصباح: الجرس الصغير، الذهبيّ، على جنبه، ومطرقته الصغيرة ساكنة على نابضها؛ والرسالة، مفتوحة ومفرودة بحافّة اليد، بخط ر. السيّئ، الذي بدا في ذلك الضوء كأنّه رسم.

نظر إليهما ببطء، كمن يعد باقي النقود.

—قبل أن أوقّع، أنظر في ما أوقّعه —قال، من دون أن ينظر إلى أحد.

وصار وجه خوليتا بلون قميصها.

ناولته خوليتا قلمها العريض الأخضر، وغطاؤه عليه. ناولته إيّاه من الخلف، والرأس نحوها، وهكذا تُمرَّر المقصّات. ثم ذهبت إلى الركن وجلست على كيس، منتصبة جدًّا، وذقنها مرفوعة ومرفقاها في وضع غريب.

—ماذا تفعلين؟ —سألت.

—أجلس على يدي. كي لا أساعد.

كان حرفيًّا. كانت قد دسّت يديها تحت فخذيها، واحدة على كل جانب، وتضغط الكيس بهما. وكانت تحرّك شفتيها؛ أظنّها كانت تعد الأفيال.

كنت قد تدرّبت في السرير على كيفيّة التحذير في الوقت المناسب، إن لزم. وفي ذلك المساء لم أضطر إلى قول شيء.

أغلقت الدفتر ووضعتُه تحت ذراعي.

ثم سجّل كل شيء. — خ.

فتح تونيو غطاء القلم العريض ووقّع.

لم يتردّد، لكنّه تأخّر. التاء، كبيرة. الواو. النون. الياء، ونقطتاها اللتان وضعهما ببطء. الواو. خمسة حروف واضحة ومستقيمة.

ظهر في إحدى الزوايا ختم لم يختمه أحد: تم التسليم.

كان على البطاقة «تُوني الصغير». وفي التوقيع «تونيو».

—هل يصح هكذا؟ —سأل مارا—. ليس الاسم نفسه.



قرأت مارا البطاقة من أعلاها إلى أسفلها، من دون أن تلمسها.

—يوقّع مَن يستلمه —قالت—. وأنت مَن استلمه.

عدنا إلى المتجر. كان تونيو يحمل الجرس الصغير في يد وقد وضع الخوذة على رأسه من جديد. وكنت ما زلت ودفتري مغلقًا. أطفأت مارا المصباح وجاءت الأخيرة.

فتحت الدرج، وأخرجت الدفتر ذا الشريط المطّاطيّ، وسجّلت التسليم: تاريخًا، ورقمًا، وخمسة حروف.

كانت خوليتا قد أمسكت الكرسي الأزرق بيدها —كرسيّها المعتاد، الذي تستعمله لتصل إلى اللافتة— وكانت في طريقها إلى الجدار. توقّفت فجأة. وضعته على الأرض من جديد، على قوائمه، من دون صوت.

—هل أستطيع تغيير اللافتة؟ —سألت.

سألت تونيو، لا مارا.

نظر تونيو إلى اللافتة. تأخّر، كما يتأخّر المرء في التحقّق من عنوان.

—فيها رقم فقط.

—فقط.

—حسنًا.

صعدت خوليتا على الكرسيّ، وشطبت 18 بخط واحد وكتبت بجانبه 17 ضخمًا، بالأخضر الذي لا يُمحى.

سألت أوّلًا. للعِلْم. — خ.

خرج تونيو إلى الرصيف، وأسند درّاجته إلى الجدار، وأخرج مفكًّا من حقيبته.

—هل ستركّبه؟ —سألت.

—نعم.

—وجرس «البرق»؟

—ذلك لـ«البرق». وهذا لي. —وأضاف، من دون أن يرفع نظره—: هل تمسك لي الدرّاجة؟

ركّبه هو. أنا فقط أمسكت الدرّاجة، وبطلب منه. انغلق المشبك حول المقود، بجانب جرس «البرق» الرمادي. وشد تونيو البرغي إلى حيث بدا له أنّه يكفي. وكانت مارا تنظر من الباب، متشابكة الذراعين، وهذه عندها طريقة للتصفيق.

ثم نقر المطرقة الصغيرة بإصبع.

تِلِن.

في الخامسة وعشر دقائق مر «البرق». جاؤوا في صف في الشارع: زوي في المقدّمة، وضفيرتها في الريح؛ وبرونو خلفها، والمنفاخ على إطار درّاجته؛ وفي الآخِر فراغ بحجم تونيو. توقّف برونو.

—وما هذا الذي يرنّ؟

—جرس صغير.

—من أين جاء؟

—كان لي.

—من حين كنت تُونِي الصغير؟

نظرت إلى وجه تونيو. لا شيء. ولا حتّى أذناه.



—من حين كانوا يسمّونني هكذا. الآن اسمي تونيو. وأنت، ما اسمك؟

—بن... —توقّف برونو—. برونو.

—حسنًا، هذا هو، برونو.

رفع برونو رأسه كمن يسمع اسمه في مكبّر الصوت. في «البرق» مرّت سنتان لم يناده أحد برونو.

فتحت زوي فمها.

يوم الثلاثاء كانت قد شطبت «برونو» وكتبت «بنشر».

نقر تونيو المطرقة الصغيرة. مرّة واحدة، من دون أن ينظر إلى أحد.

تِلِن.

أغلقت زوي فمها. وفكّرت. وتأخّرت بقدر ما تدوم إشارة المرور البرتقاليّة.

—صوته جميل —قالت—. نحن متأخّرون يا تونيو.

قال «تونيو». من دون أن يضيف شيئًا. — خ.

ذهبوا في صف: زوي، وبرونو، وفي الأخير تونيو، وإبهامه دائمًا قرب المطرقة الصغيرة.



في تلك الليلة تركت الستارة مرفوعة مرّة أخرى.

وتركت أيضًا كرسيّي المراقبة أمام النافذة، كرسيّي وكرسي المنبّه الصغير جدًّا، تقليدًا، وأويت إلى السرير والمنبّه تحت ذراعي. في تلك الليلة كنت أراقب مستلقيًا.

—تراقب من جديد؟ —سألت أمّي من الممر.

—اليوم أراقب أن لا يحدث شيء.

—هذا أجيده جدًّا. نم.

صمدت حتّى قرابة منتصف الليل.

نمت والقلم العريض بلا غطاء. وسارتي صارت خضراء. – خ.

استيقظت قبل أن يرن المنبّه، وجسدي كلّه مستعد لتِلِن.

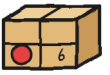
بزغ الفجر.

لم يرن شيء.

لا تِلِنْ، ولا نافذة، ولا كلب الرقم 4.

إنّه أجمل صمت سمعته في شارعي.





الفصل 6

حاليًّا

يوم السبت، في العاشرة، رسمت الرف: سبعة عشر طردًا وثلاثة فراغات.

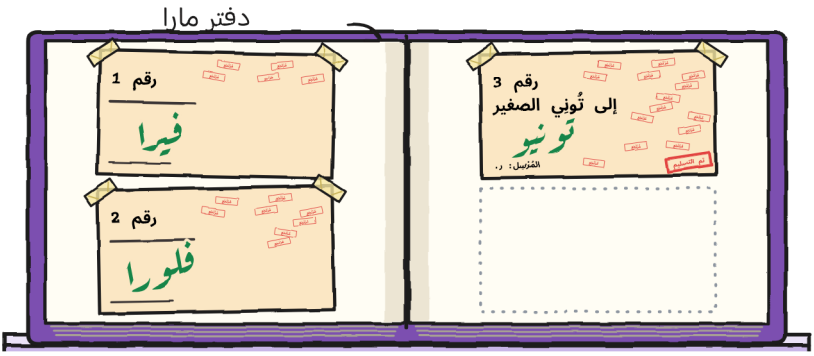
كنت قد عبرت الشارع وأنا مرتد ثيابي، وهذا تقدّم بحد ذاته: أوّل يوم سبت فعلتُها بالبيجامة وخف البيت. قبل أن أدخل نظرت إلى النافذة الصغيرة فوق الباب، التي تتركها مارا مفتوحة للعائدين. ما زالت مفتوحة. لم يدخل منها أحد.

استغرقت الفراغات وقتًا أطول من الطرود. في كل منها بقي مستطيل نظيف، والغبار حوله. رسمتُها من دون أن أضغط القلم.

وكانت مارا، في هذه الأثناء، قد أخرجت دفترها من الدرج وفتحته على المنضدة، معطية ظهرها للباب. نزعت بطاقة الطرد رقم 3 ولصقتها في دفترها، مع البطاقتين الأخريين.

وتونيو، الذي يؤدّي أيّام السبت كما يوصّل —بدقّة ومن دون أن يخلع شيئًا—، كان ينظر من الجانب الآخر من المنضدة، والخوذة على رأسه. وكان اسمه، اسم التوقيع، يمر من الصندوق إلى الدفتر. نظر إلى الدفتر. نظر إلى الباب، المغلق. ثم عاد ينظر إلى الدفتر قليلًا أكثر.

سبعة وثلاثون ختمًا: ثلاثة وعشرون وأربعة عشر. وثلاثة توقيعات بالأخضر.



بيضة وبذور وجرس صغير. الثلاثة وصلت متأخّرة. والثلاثة وصلت.

الثالث وقّعه تونيو. هذه المرّة كل ما فعلتُه أنّني ناولته القلم العريض. — خ.

جلس تونيو في صندوقه وتململ. هذه المرّة لم ينظر إلى الرف.

—الصندوق ما زال «حاليًّا» —قالت مارا، من دون أن ترفع نظرها عن الدفتر.

—حاليًّا يكفيني —قال تونيو.

«حاليًّا» قد تدوم سنوات. اسأل الطرد رقم 3. — خ.

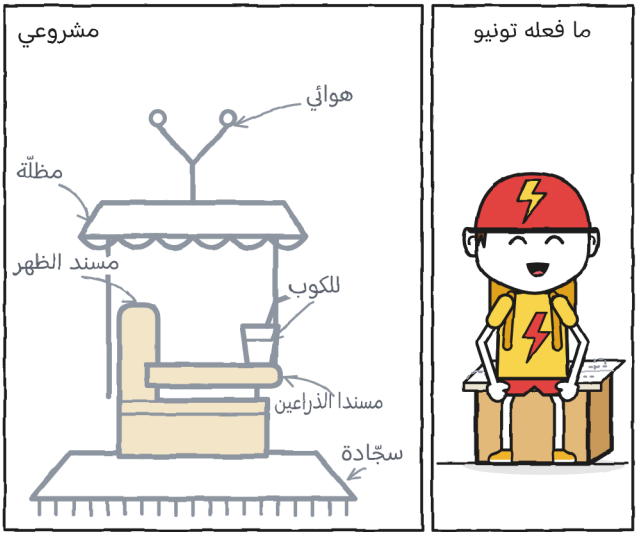
أريت تونيو مشروعي لمقعده. كلّفني أسبوعًا كاملًا.

كانت النسخة النهائيّة، بمقاييس ومفتاح: صندوق التوصيل وقد صار عرشًا. جمعت فيها مسند الظهر من ليلة العاصفة؛ ومسندي الذراعين ومكان الكوب من النسخة 2؛ والمظلّة من النسخة 3، بأهدابها، وسجّادة جديدة، بأهداب هي أيضًا. أمّا الهوائي فخرج وحده، عند منتصف الليل؛ لا أعرف ماذا كان يريد أن يلتقط، ولهذا تركتُه.

ناولته إيّاه بيدي الاثنتين، كأنّه شهادة. نظر تونيو إليه كلّه، بالجدّيّة نفسها التي قرأ بها رسالة ر. لم يضحك ولا مرّة. قدّرت ذلك. ونظرت إليه خوليتا من فوق كتفي بوجه مَن يتعرّف إلى قريب في صورة.

—هل تعطيني إيّاه؟ —قال.

طواه أربع طيّات، ووضعه فوق الصندوق وجلس.



في الخارج كان الجرس الصغير قد اعوج على المقود. رأيناه حين خرجنا نستنشق الهواء: كان قد مال نصف لفّة إلى جانب، مثل رأس ينام في الحافلة.

—أمسكه لك بينما تشد —قلت.

—أستطيع أنا.

استطاع هو. وكنت أنظر إلى ذلك البرغي. بدا أن له مئة لفّة.

أخرج تونيو طرف لسانه. وكانت خوليتا، بجانبي، قد دسّت يديها في جيبي سروالها ذي الحمّالات حتّى المعصمين؛ وكانت قبضتاها تظهران من الداخل. أمّا أنا فليس عندي سروال حمّالات: فأمسكت يدًا بالأخرى، خلف ظهري.

حين أتم تونيو اللفّة الأخيرة، صار الجرس الصغير ينظر إلى الأمام، مستقيمًا كجندي.

—انتهى —قال.

أفلت يدي بنفسي، وهذا أصعب ممّا يبدو.

عند دخولنا أخرجت خوليتا من تحت المنضدة ورقة التوقيعات. فيها توقيعان، وثقب، ومنذ ذلك الصباح رقعة: كانت النافذة الصغيرة مسدودة بقطعة ورق وبكمّيّة من الشريط اللاصق جعلت الرقعة أمتن ما في الورقة.

—هذه ورقة الفخ —قالت لمارا، قبل أن تسأل—. أصلحتُها.

ثم وضعتها أمام تونيو.

—هل تكتب لي توقيعك؟ بصدق. من دون شيء تحتها.

قالتها ببطء، مرّة واحدة، وانتظرت.

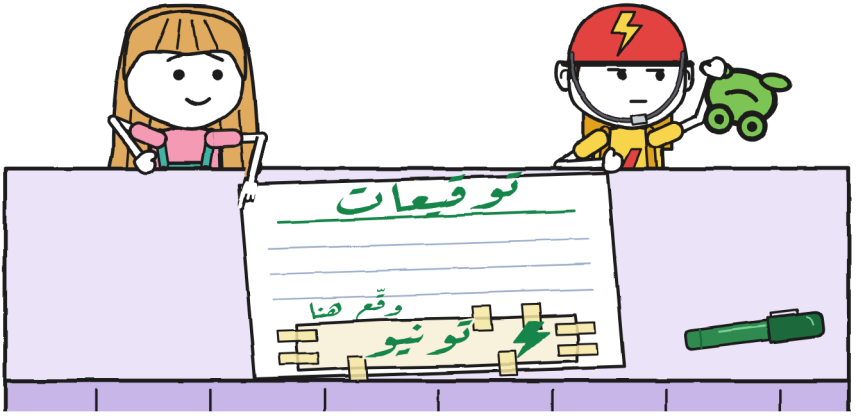
نظر تونيو تحت الورقة. ونظر تحت المنضدة. وقلب الضفدعة.

تحرّكت عضلة في وجه خوليتا حين رفع تونيو الضفدعة. كان ذلك الاعتراض الوحيد. وسحبته هي بنفسها.

—حسنًا.

ووقّع فوق الرقعة: «تونيو»، وبرق صغير متدل من الحرف الأخير.

أستحق ذلك. — خ.



عند الظهر خرج تونيو في جولة توصيل. رأيتُه يذهب من الباب، والجرس الصغير ثابت في مكانه. كان رجل يضع قبّعة بيريه يعبر الشارع ببطء، متّكئًا على عصاه، على ممر المشاة عند الزاوية.

كبح تونيو. وانتظر وقدمه على الأرض. ثم ضغط الجرس الصغير مرّة واحدة، ليعرف الرجل أنّه هناك.

تِلِن.

رفع الرجل عصاه ليحيّيه وتابع سيره بوتيرته.

كانت مارا قد أطلّت من الباب، بجانبي، متشابكة الذراعين.

—هذا هو السيّد أنطونيو —قالت—. تُونِي الصغير رقم اثنين في قائمتي.

كان صاحب «ليتني!». وصل إلى رصيفنا وتوقّف بجانب درّاجة تونيو، التي لم تكن قد ذهبت: كانت ما زالت هناك، وقدم على الأرض ويد قرب المطرقة الصغيرة، من دون عجلة.

—هل هذا الجرس الصغير جديد؟ —سأل الرجل.

—إنّه قديم —قال تونيو—. كان لي. من حين كانوا يسمّونني تُونِي الصغير.

—أنا منذ ستّين سنة لا أحد يناديني هكذا. إن شئتَ، أبادلك: أنت السيّد أنطونيو، وأنا تُونِي الصغير.

فكّر تونيو. نظر إلى القبّعة ثم إلى مقوده.

—حاليًّا، لا.

أومأ السيّد أنطونيو ولمس قبّعته بإصبع، كمن يعقد صفقة ويتركها مفتوحة.

—أنا هنا —قال—. أعبر ببطء.



عاد تونيو من جولة التوصيل في اثنتي عشرة دقيقة. كانت خوليتا قد قاست الوقت. بقيت تنظر إلى ساعتها، لكنّها لم تقل شيئًا. وجلس تونيو في صندوقه.

أخرجت سجل ر. كانت صفحة صورتها علامة استفهام كبيرة وتحتها ر. وفيها ستّة أدلّة. أضفت دليلين:

- الدليل 7. ر. على معرفة بتونيو منذ كان يركب الدرّاجة الصغيرة.
- الدليل 8. وعد لتونيو بجرس صغير يرن. استغرق الوفاء سنوات.

طلب منّي تونيو القلم الجاف وكتب تحتها، بخطّه. خارج القائمة، بحروف موصّل طرود كبيرة، مضغوطة، من النوع الذي يظهر أثره على الورقة التي تحتها:

قيد الانتظار: لي عند ر. تفسير.

—ولن تشكر ر.؟ —سألت خوليتا. سألت ببطء، كمن يحمل فنجانًا ممتلئًا.

—الشكر والعتاب. الاثنان. حين أعرف مَن يكون.

عند الواحدة دخلت فيرا، وفُتاتة بين ذراعيها وغصن صغير في شعرها.

—جئت أطلب المساعدة —قالت—. فُتاتة صارت تعرف الإقلاع. والآن تحتاج إلى مكان آمن لتهبط. —توقّفت لحظة—. بالأمس اختارت حساءي.

اعتدلت على الكرسي منذ الكلمة الأولى. وكان على أحد قرنَي فُتاتة خيط معكرونة متدل. نظرت إلي وصنعت وجهي حين أقول «لم أكن أنا».

وجهك تمامًا. مع خيط معكرونة. — خ.

—هل تحتاجين إلى أحد سريع؟ —سأل تونيو من صندوقه.

مالت فُتاتة من بين ذراعي فيرا وشمّت خوذته.

—أحتاج إلى أحد يعرف كيف ينتظر —قالت فيرا.

—أعرف أنا أيضًا. منذ هذا الأسبوع.

خلفه رفعت خوليتا يديها الاثنتين، كمن يستسلم في عمليّة سطو مهذّبة جدًّا.

أنا أيضًا أعرف كيف أنتظر. هل حان الوقت؟ — خ.

حين لا أفهم شيئًا، أعد قائمة. وهذه المرّة كنت أفهم، ومع ذلك خرجت القائمة: آخر صفحة في هذا الدفتر، جدول التسليم.

التسليم رقم 3. كم استغرق كل واحد:

- «البرق»: عشر دقائق.
- ر.: سنوات.
- تونيو: ستّة أيّام.
- خوليتا، وهي تُصغي: إحدى عشرة دقيقة (رقم قياسي).

نهض تونيو من صندوقه، وعدّل خوذته، وتحقّق بإصبع أن الجرس الصغير ما زال مستقيمًا. كان ما زال.

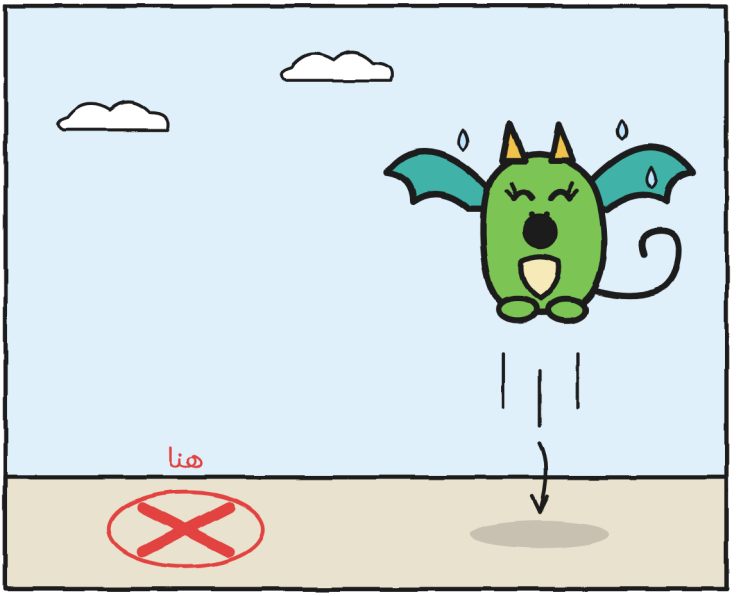
ذهب إلى جولته. ومن الشارع وصل تِلِن. ثم آخر.

هذه المرّة كان هو الذي يقرع الجرس الصغير.

أنا ما زلت أرن وحدي، وأعمل على ذلك. — خ.

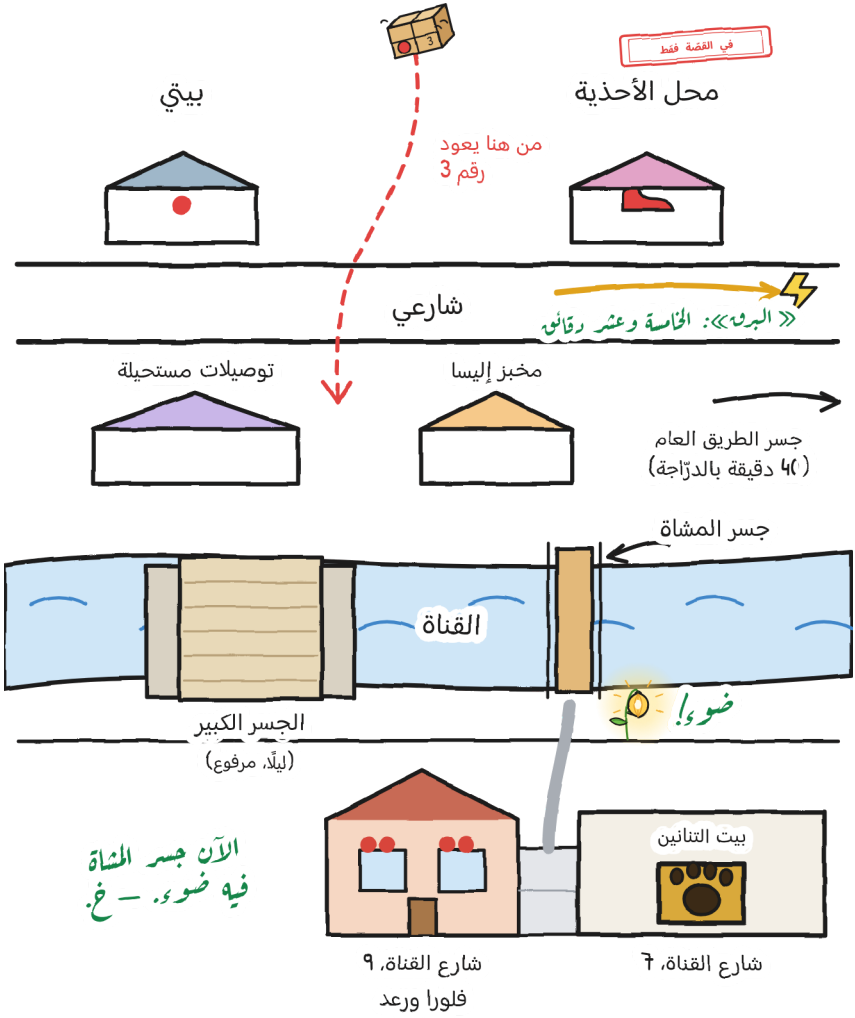
توصيلات مستحيلة ٤٠

(قريبًا جدًّا)



أين تهبط تنّينة صغيرة تقلّدك؟ – خ.

الحي (النسخة 3)



وأنت، ما اسمك؟

كانوا يسمّون تونيو «تُونِي الصغير». الآن هو يختار اسمه. وأنت؟

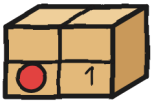
يعجبني أن يسمّوني...

يمكنهم أيضًا أن يسمّوني...

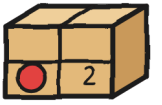
أفضّل ألّا يسمّوني...

أنا خوليتا. «خ.» فقط حين أوقّع. — خ.

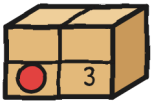
توصيلات مستحيلة



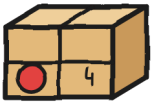
1 · هذا الطَّرْد يَعَض



2 · لا يُفْتَح قبل الرعد



3 · مُرْتَجَع، رَجَاء



4 · (قريبًا جدًّا)

المتبقّي سبعة عشر. — خ.

قصّة واحدة، ستة مقاسات

هذا الكتاب موجود بستة مقاسات، من 3 إلى 16 سنة، وبأكثر من 20 لغة. المقاسات XXS وXS وS وM وL تروي القصّة صفحة صفحة، بالرسوم نفسها وبتفاصيل أكثر في كل مقاس؛ أمّا XL فهو الرواية: القصّة نفسها، مع متّسع لكل ما يفكّر فيه غوني ولا يقوله.

مستويات الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للّغات تقريبية:
XXS, pre-A1 · XS, A1 · S, A2 · M, B1 · L, B2 · XL, B2–C1.

كل بمقاسه. والتِّلِن نفسه. — خ.

للعائلات والمدرّسين

تدرّب على كل فصل في موقع linguaula.com (مع أنشطة المقاس L)

درّاجة حقيقيّة: ماذا تفعل

1. الخوذة دائمًا، مربوطة جيّدًا. وحتّى حين تذهب «إلى المكان المجاور فقط».
2. اجعل الناس يرونك ويسمعونك: أضواء، وملابس فاتحة، وجرس. الجرس ينبّه، ولا يأمر.
3. اليدان كلتاهما على المقود. وإذا شغلك شيء، توقّف في مكان آمن.
4. الرصيف لمن يمشي على قدميه: هناك تُقاد الدرّاجة باليد. قبل العبور، توقّف وانظر.

الختم «في القصّة فقط» يشير إلى ما يحدث في القصّة، لا في الشارع.

قبل الخروج، افحص درّاجتك

